الذين لا يعجز تلامذتهم عن اجابته بما يرفع عنه الحرج ورأينا ان لا بد من هذا التنبيه حفظاً لكرامة اولئك العلماء الكرام

البدع والخرافات
والتقاليد والعادات

« اصلاح الطرق وأهلها »

حضرنا فى هذه الايام مجلسين من مجالس أهل الجد والبحث فى الشؤن الاجتماعية الاسلامية والاصلاح وكان من اهم ما أطلنا البحث فيه عدة ساعات اصلاح طرق المتصوفة والانتفاع بها فذهب فريق الى ان لهذه الطرق مقاماً علياً فى نفوس العامة وتأثيراً كبيراً اذا تولى تدبيره رجال من اهل الاستقامة والفضل يمكنهم ان يحدثوا انقلاباً عظيماً فى العالم الاسلامي ومما استدل به على ذلك اهتمام الاوربيين بهذه الطرق ووضع المؤلفات الطويلة فيها واستخدام فرنسا الطريقة التيجانية وكونه لم يبق بين المسلمين فى الاقطار البعيدة من الاتصال والارتباط الا هذه الطرق وقالوا ان امثل طريق للاصلاح ان تؤلف جمعية من اهل الفضل تعد الرجال المصلحين وتسعى فى جعلهم شيوخاً مسلكين

وذهب الفريق الآخر الى ان جميع ما ينفرد به هؤلاء الناس عن سائر المسلمين فى هذه الازمنة فهو من البدع والخرافات فاذا كان عمل المصلحين ابطال هذه البدع وارجاعهم الى اصل الدين فذلك ابطال للطرق بالمرة وهو الاصلاح الحقيقي وان اقروهم عليها فلا اصلاح

ومما قاله كاتب هذه السطور : ان الخلاف فى امكان اصلاح الطرق وعدمه يرجع الى اصلين عظيمين احدهما كون الانسان لا يعمل عملاً الا اذا اعتقد عن بصيرة انه حق وحسن ونافع ليكون عاملاً بارادته المنبعثة عن علمه وهذا أساس من الأسس التى قام عليها بناء الاسلام ولا يرتق البشر الا به . و (ثانيهما) الطاعة العمياء وكون الانسان يعمل بارادة غيره وهذا هو الاساس الذى بني عليه التصوف لانهم يشترطون ان لا تكون للمريد ارادة مع شيخه وان يكون معه كالميت بين يدي الغاسل . وأذكر من دليل الاول أن الصحابة رضى الله تعالى عنهم كانوا يراجعون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض القول الذى يخالف رأيهم فيقولون : أوحيٌ يا رسول الله ام هو رأى لك — اوما معناه — فان اخبرهم انه من عنده ذكروا ماعندهم من الرأي وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يرجع الى رأيهم احياناً اذا ظهر انه الصواب وربما أيد الوحيُ رأيَ بعضهم على رأيه كما فى مسئلة اسرى بدر . ومن حكمة ذلك ان يفرق الناس بين العبد والرب والمخلوق والخالق الذى لا يحيط علما بوجوه المنافع والمصالح غيره تعالى فلا يعبدوا نبيهم ويعطوه بعض خصائص الالوهية

وقلت : ان الاصلاح الحقيقى هو البناء على الاساس الاول الذى ترتق به الامة واذا وجد شيوخ عارفون بالدين وحكمه واسراره وتولوا مشيخة الطريق يمكنهم ان يرشدوا العوام وان اعتادوا على ان لا يخضعوا الخضوع التام الا لمن يدّعي الكرامات ويموه عليهم بالاوهام والخزعبلات واما استخدام الطاعة العمياء والتسلط على ارادة العامة بدعوى الولاية والتصرف فى الكون ونحو ذلك فيمكن لمن يستخدم ذلك بعقل ودهاء

ان يحدث انقلاباً عظيماً ويؤثر تأثيراً كبيراً باسم الاسلام كما فعلت جمعية الجزويت اليسوعية فى النصرانية وكما فعل كثيرون من المسلمين لكن بغير سياسة وحكمة وآخر هؤلاء مهدي السودان ولكن هذا لا يكون اصلاحاً اسلامياً مبنياً على اساس الاسلام وان امكن ان ينتفع به المسلمون من بعض الوجوه

ثم قال بعض العقلاء الاجتماعيين انكم لم تبينوا اي اصلاح تريدون فان كنتم تريدون الاصلاح السياسى فالبحث فى محله وان كنتم تريدون الاصلاح الديني فلا سبيل اليه الا بمحو هذه الطرق كلها لانها هى التى ادخلت الوثنية فى الاسلام من عدة قرون فهى لا تتفق معه مطلقاً على أنّ الروابط بين اهلها قد تقطعت ولم يبق فيها طريقة يتصل بعض اهلها ببعض فى كل بلد توجد فيه الا اثنتان الطريقة المولوية وهى محصورة فى بلاد الدولة العلية واهلها ابعد الناس عن السنة وسيرة السلف الصالح . والطريقة التيجانية فى الغرب وهى التى صار زمامها فى أيدى الفرنساويين حتى انهم صاروا فيها شيوخاً مرشدين .

وذكرنا السنوسيين ايضاً وهذا بعض ما جرى فى مجلس واحد . وقد جاءتنا فى هذه الايام رسالة من السودان فى الطرق هناك وفيها تفصيل خرافات شيخ الطريقة الاسماعيلية التى هى فرع من الطريقة المرغنية الختمية ومنها ان صاحبها يدعي ان الله يكلمه ويعده وكذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسننشرها فى المنار لتكون عبرة لمثل الشيخ أحمد الالفى الذى يسلم بكل ما عليه المنتسبون الى الطريق ويحتج على ذلك بتلقين النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة كلمة «لا اله الا الله» ولا حول ولا قوة الا بالله .